Adab Al-Rafidayn

https://ojs.uomosul.edu.iq/index.php/radab

The impact of development and prophetic planning on managing change and building society

Mahmood Dakeil Ali Jawad

Department of History\ College of Education for Girls\ University of Tikrit \ Salah Al-Din-Iraq

Article Information

Article History:
Received Oct 30،2025
Revised Nov 23،2025
Accepted Dec 7،2025
Available Online Feb. 1, 2026

Keywords:
Prophetic planning،
Development،
Change،
Migration،
Medina

Correspondence:
Mahmood Dakeil Ali Jawad
Mahmood.dakhel@tu.edu.iq

Abstract

There is a strong correlation between development and planning، as no positive change can be achieved without a clear vision based on a well-studied methodology that directs efforts toward specific goals. Planning serves as the mechanism that transforms developmental visions into tangible realities within the limits of available resources and through confident، deliberate steps. This interconnection was clearly manifested in the prophetic experience of building the Muslim community and the Islamic state in Medina. The Prophet Muhammad ﷺ exemplified the highest forms of strategic and developmental planning by strengthening the spiritual and faith-based foundations، which became the core of a socially، economically، and politically cohesive society. Achieving a profound transformation in a mixed society such as that of Medina was no simple task; it required comprehensive and sustainable development aimed at cultivating both the land and humanity within the framework of Islamic values. As the Almighty says: *"He brought you forth from the earth and settled you therein"* (Hūd 61)، meaning that He commanded you to build and develop it in accordance with the principles of equality and justice. Such change must remain steadfast and not regress with the departure of the reforming leader. This is precisely what the Prophet ﷺ sought in his plan for transformation—he endeavored to reinforce the essential values of a virtuous society، beginning with shifting allegiance from tribe and locality to allegiance to Islam itself.

DOI: 10.33899/radab.2024.150935.2184، ©Authors، 2023، College of Arts، University of Mosul.
This is an open access article under the CC BY 4.0 license (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

أثر التنمية والتخطيط النبوي في إدارة التغيير وبناء المجتمع

محمود دخيل علي جواد *

مستخلص:

* قسم التاريخ /كلية التربية للبنات/جامعة تكريت/ صلاح الدين - العراق

هناك ارتباطٌ وثيقٌ بين التنمية والتخطيط؛ إذ لا يمكن العمل على تحقيق تغيير إيجابي من دون رؤية واضحة تقوم على منهج مدروس يعمل على توجيه الجهود نحو أهداف محددة؛ فالتخطيط يقود إلى تحول الرؤى التنموية إلى واقع ملموس على وفق الموارد المتاحة وضمن خطوات واثقة، وهذا الارتباط تجلى بوضوح في التجربة النبوية في بناء المجتمع المسلم والدولة الإسلامية في المدينة المنورة؛ إذ إن الرسولﷺ جاء بأحسن صور التخطيط الاستراتيجي والتنموي، فعمل على ترسيخ الجانب الإيماني والروحي؛ ليكون نواة المجتمع المتماسك اجتماعيًّا واقتصاديًّا وسياسيًّا. إن مسألة إحداث تغيير جذري في مجتمع مختلط كمجتمع المدينة من الصعوبة بمكان، فالأمر يتطلب احداث تنمية مستدامة وشاملة تهدف إلى عمارة الارض واصلاح الانسان في اطار القيم الإسلامية، قال تعالى:**(هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا)** (هود:61)، أي طلب منكم العمارة والتنمية وفق منهج المساواة والعدل، وهذا التغيير يجب ان يكون ثابت لا ينقلب على عقبيه برحيل قائد التغيير، وهذا ما عمل عليه الرسول ﷺ في إعداد خطة التغيير، فقد سعى إلى تعزيز القيم الاساسية للمجتمع الفاضل، فكانت بداية التغيير نقل الولاء من القبيلة والمكان إلى الولاء للإسلام.

الكلمات المفتاحية: التخطيط النبوي، التنمية، التغيير، الهجرة، المدينة المنورة

المقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى اله وصحبه أجمعين، لم يكن التغيير الذي بدأ بالتخطيط للهجرة النبوية الشريفة واقامة الدولة وبناء المجتمع أمرًا عابرًا، ولا مجرد محاولة لانتقال شخص جاء بدعوة جديدة لا توافق أفكار البلد الذي يعيش فيه، ولكن التغيير كان يحمل بين ثناياه القيم والمبادئ الايمانية التي ترتكز عليها الشريعة الغراء كونه ﷺ يسير وفق منهج واوامر ربانية لا يمكن له ان يخالفها لذلك فإنه ﷺ كان واثقا من ربه انه سوف يتم له ما أرسله به على الرغممن كل المحن والفتن التي واجهته ليعلم اصحابه هذا الفكر والمبدأ إنهم بحماية ربهم وإنه ناصرهم، قال تعالى: **(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ)** (سورة محمد، الآية : 7).

جاءت هذه الدراسة لتكون نبراسا يضئ درب السالكين والسائرين على هذا المنهج القويم لعلنا نتعلم ونعلم الاجيال اللاحقة كيف كان الرسول ﷺ مدرسة للأجيال وللدعاة وللقادة بكل تفاصيل الحياة العلمية والادبية والتربوية والعسكرية، وكيف استطاع احداث تغيير وتنمية شاملة، تمكن من خلالها بناء دولة تقوم على العدل والمساواة فتحت العالم تحت راية الإسلام .

ان هذه الدراسة تتطابق مع اهداف ومحاور مؤتمركم الموقر في التنمية المستدامة، وتبين منهج النبي ﷺ في تعزيز القيم وتوظيفها وبيان تكاملها وشمولها، كما يربط بين التنمية والتخطيط في منهج النبي ﷺ في تعزيز القيم الايمانية والاخلاقية في المجتمع واقامة الدولة، وسبل تجسيدها في الواقع المعاصر، وقد اعتمد المصادر والمراجع الرصينة للوصول إلى الحقيقة التاريخية، وكذلك كتب الحديث المعتمدة من الصحاح والسنن وغيرها من الكتب وكذلك التفاسير وكتب شرح الحديث وكتب التاريخ والمعاجم، لعلنا نقف على أول الطريق للوصول إلى بر الامان في خدمة الإسلام واحياء السنة النبوية المطهرة لقوله وسيرته العطرة.

ونسأل الله تعالى لكم التوفيق والسداد ونجاح مؤتمركم الموقر في خدمة مبادئ الدين الحنيف ومن الله التقدم والرقي ولكل من ساهم في ادارة المؤتمر والله الموفق .

المبحث الأول: التخطيط والاعداد وتقييم الوضع العام

أولا: احول المسلمين في مكة:

لم تكن فكرة التغيير حدثا عارضا أو أمرًا نُفذ على عجل، لكنها نضجت نضوجا دينيا وفكريا وسياسا، هيأ لها القران الكريم النفوس قال تعالى: **(يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرْضِي وَٰسِعَةٌ فَإِيَّيَ فَٱعْبُدُونِ)**[1]، وعمل الرسول ﷺ على ترسيخها عمليا في نفوس اصحابه عندما أمرهم بالهجرة إلى الحبشة [2]، بعد ازدياد اذى المشركين لهم هاجروا إلى الحبشة وفروا إلى الله بدينهم، فكانت أول هجرة في الإسلام [3].

ان ذلك الاذى لم يكن جسديا فحسب بل يتخلله اذى نفسي مصحوب بقهر من أسلم واتبع الدين الجديد وخالف دين قريش، نلمس ذلك من أبيات قالها عبدالله ابن الحارث[4]، حين أمنوا في أرض الحبشة وتنفسوا الصعداء وحمدوا جوار النجاشي، وعبدوا الله جهارا، لا يخافون احدا، حيث قال[5]:

---

(1) سورة العنكبوت, الاية :56 .

(2) ابن هشام, محمد عبدالملك بن هشام المعافيري (ت213هـ) , السيرة النبوية , تحقيق: محمد عبد السلام تدمري , ط2 , دار الكتاب العربي, (بيروت- 1990م), 349/1 .

(3) ابن كثير, اسماعيل ابن عمر الدمشقي(ت774هـ),البداية والنهاية, تحقيق: عبدالله بن عبد المحسن التركي,ط1,دار هجر طباعة, (د.ت-1997), 166/4 .

4() الصحابي عبد الله بن الحارث بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم, وكان شاعرا, وهو من مهاجرة الحبشة, استشهد يوم اليمامة سنة 12 للهجرة في خلافة ابي بكر الصديق ﷺ. ابن سعد, محمد بن سعد بن منيع الزهري(ت230هـ), الطبقات الكبير, تحقيق: علي محمد عمر, مكتبة الخانجي, (القاهرة- 2001م) , 181/4-182.

5()) ابن هشام ,السيرة النبوية,357/1 .

كل امرئ من عباد الله مضطهد ببطن مكــة مقــهور ومفتـــون

انا وجدنا أرض الله واســـعة تنجي من الذل والمخزاة والهوان

إن ذلك الامان الذي وجدوه على انفسهم ودينهم هون عليهم فراق الديار، وفي ذات الوقت هيج في صدورهم غصة إخراج قومهم لهم وكيف حاولوا فتنتهم [1].مهما يكن من أمر فإن رسول الله ﷺ قد أمن على نواة الإسلام الأولى بعد أن وجدوا ملجأ أمنًا لهم في الحبشة فرارًا بدينهم واستخفى آخرون، وفشل زعماء قريش في مقاطعتهم لبني هاشم وبني عبد المطلب، كل تلك الامور تشير إلى تقدم في الدعوة الإسلامية في مكة، أمام فقدان قريش لصوابها، يتجلى ذلك في تصرفاتهم التي اخرجتهم من القيم التي لطالما وقفوا خلفها[2]؛ إذ إن العرب كانوا يتفاخرون بإيواء الغريب، واجارة من يطلب جوارهم، واكرام الجار والاحسان إليه، وكانوا يحرصون على أن لا يسبقهم إلى ذلك احد، ويهجون من خالفهم في ذلك، فإذا بغير العرب يسبقونهم إلى ذلك ويعينون من آذتهم قريش وأخرجتهم من ديارهم ظلما وعدوانا، من اشراف الناس وضعافهم[3].

ثانيًا: التخطيط لتحول استراتيجي وبناء الدولة :

كان رسول الله ﷺ يتلقى دعما معنويا من زوجته خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، حيث كانت، وزيرة صدق، لطالما شكى إليها رسول اللهﷺ همومه، وكان عمه أبي طالب له عضدا في أمره ومنعة وناصرا على قومه، فبموتهما في عام واحد وبزوال ذلك الدعم المعنوي وتلك المؤازرة والمنعة، **"نالت قريش من رسول الله ﷺ من الاذى مالم تكن تطمع به في حياة أبي طالب"**[4]، وكان ذلك في السنة العاشرة من البعثة، حيث لزم رسول الله ﷺ بيته وكان قليل الخروج منه [5]، ومما لا شك فيه فقد اصبح الرسول ﷺ معرضا للأذى من قبل المشركين أكثر من أي وقت مضى .

بدء الرسولﷺ البحث عن ميادين جديدة لنشر الدعوة واقامة دولته وبناء مجتمع جديد، بعد أن اقتنع بعدم جدوى الاستمرار في الاقتصار على نشر الدعوة في مكة، اتجه نظره ﷺ إلى الطائف وذهب إليها ودعاهم إلى الإسلام فلم يستجيبوا لما دعاهم إليه، واغروا به سفهاء القوم وعبيدهم ورموه بالحجارة، حتى ادموا قدميه، وواجهوا رسول الله ﷺ بأعنف ردٍ تلقاه منذ أن بدأ دعوته، بعد أن بذل جهدا لا يوصف وهو يحاول اقناع قادة ثقيف، أمضى فيها أياما يتصل بكل ثقيف شبابا وشيوخا، ولكن دونما جدوى[6]. ولم يثن ذلك رسول الله ﷺ عن مهمته كداعيه، وما ضعف وما استكان .بعد ذلك بدأ رسول الله ﷺ مرحلة جديدة، حيث بدأ يستثمر المناسبات وخاصة خلال المواسم، فيعرض نفسه على القبائل يدعوهم إلى الله[7] .

ثالثًا. بداية التحول: إسلام الأنصار وبيعتا العقبة الأولى والثانية :

استمر رسول الله ﷺ يدعو الناس ويعرض نفسه لا يثنيه عن ذلك شيء، وعند العقبة **" لقي رهطا من الخزرج أراد الله بهم خيرا"**[8]، فكلمهم رسول الله ﷺ ودعاهم إلى الله ﷻ فأجابوه إلى ما دعاهم إليه، وصدقوه وقبلوا ما عرضه النبي عليهم من الإسلام فذهبوا دعاة إلى قومهم، وكان ذلك في السنة الحادية عشر من البعثة[9]، وكان عددهم ستة نفر، ولم تكن هناك وثيقة مكتوبة[10]، أن إجابة هؤلاء النفر الستة لدعوة رسول الله ﷺ دون تردد، تعزى إلى التخطيط واسلوب الداعية المتمكن الذي استخدمه رسول الله ﷺ إذ إنه قال لهم بعد أن أخبروه أنهم من الخزرج : **"امن موالي يهود؟ فأجابوه أن نعم، ثم قال لهم : أفلا تجلسون أكلمكم"**[11]، وكيف لهم أن لا يجلسوا، بل إنهم لم يترددوا أمام هذا الرفق واللين وهذا الاسلوب السهل الممتنع .

لقد نقلهم رسول الله ﷺ ببضع كلمات من مكة إلى المدينة حينما سألهم عن احوالهم في المدينة وعن وضع اليهود فيها؛ إذ إن اليهود كانوا معهم في بلادهم يثرب، وكانوا اصحاب كتاب وعلم في حين كانوا هم اهل شرك واصحاب اوثان، وكان إذا حدث بينهم شيء، وكان اليهود يتوعدونهم بنبي سوف يرسل وإنهم سوف يتبعونه، فلما كلمهم رسول الله ﷺ ودعاهم إلى الإسلام، قالوا لبعضهم: تعلمون إنه النبي

---

(4) ابن هشام ,السيرة النبوية,357/1 .

2() ابن اسحاق, محمد بن اسحاق بن يسار0ت151هـ), سيرة ابن اسحاق, تحقيق: سهيل زكار, در الفكر, (بيروت-1978م) , ص156-174؛ الملاح , هاشم يحيى , الوسيط في السيرة النبوية والخلافة الراشدة, دار ابن الاثير,(الموصل- 2005م) ص296.

(3) ابن اسحاق, سيرة ابن اسحاق, ص174؛ الصلابي, السيرة النبوية, 296/1.

(4) ابن هشام, السيرة النبوية, 65/2.؛ ابن سعد, الطبقات, 179/1.

(5)ابن سعد, الطبقات, 179/1.

(6) الاصبهاني, ابو نعيم احمد بن عبد الله بن احمد(ت430هـ), دلائل النبوة, تحقيق: محمد رواس وعبد البر عباس, دار النفائس, (بيؤوت-1986م), ص281 ؛ العلي, صالح احمد, محاضرات في تاريخ العرب, دار الكتب للطباعة والنشر, (الموصل-د .ت), ص376-377. .

(7) الطبري , محمد بن جرير(ت 310هـ), تاريخ الطبري, دار الكتب العلمية, (بيروت- 1407هـ), 348/2؛ الملاح, الوسيط في السيرة, ص168.

(8) ابن هشام, السيرة النبوية, ج2, ص77.

(9) الطبري, تاريخ, 353/2-354؛ البوطي, محمد سعيد رمضان, فقه السيرة, دار الفكر المعاصر, (بيروت- د.ت) ص170.

(10) الطبري, تاريخ, 354/2؛ حميد الله, محمد, مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة, ط 8, دار النفائس للطباعة والنشر, (بيروت- 2009م), ص46.

(11) ابن هشام, السيرة النبوية, ج2, ص77 ؛ الطبري, تاريخ, 353/2.

الذي توعدكم به اليهود، فلا يسبقونكم إليه[1]، ودون ادنى شك فذلك عامل ثاني يضاف إلى اسلوب الداعية المتمكن الذي ذكرنا؛ إذ إن اليهود قد أعدوا اذهان اهل يثرب لتقبل النبي الجديد واتباعه دون أن يشعروا، عندما كانوا يتوعدونهم بالنبي الذي اضل زمانه، ويتقدم ذلك العاملين في اسلامهم عامل مهم هو أن الله أراد بهم خيرا.

بدأ رسول الله ﷺ يخطط لمرحلة جديدة إذ إن هؤلاء الستة من الخزرج استجاب لهم الكثير من اهل المدينة، وهاهم يقبلون إلى مكة، ليس ليطوفوا بأصنام قريش، ولكن يحدوهم حادي الشوق لرؤية رسول اللهﷺ، حيث كانوا اثنا عشر رجلا وافوا رسول الله ﷺ عند العقبة، بايعوا رسول الله ﷺ بيعة النساء، وذلك قبل أن تفرض عليهم الحرب[2].

كانت بيعة العقبة الأولى خطوة من خطوات السير الحثيث والتنمية والبشرية لإنشاء قاعدة جديدة للإسلام خارج مكة، يكون الأنصار مادتها الأولى بعد أن التزموا قضية الإسلام، واجمعوا أمرهم على تسليم قيادتهم لرسول الله ﷺ، هؤلاء سوف يهدفون نحورهم للعرب من دون أن يطمعوا بان يكون لهم الأمر من بعد رسول الله ﷺ، لا يشغلهم شاغل سوى أن يأخذ رسول الله ﷺ لربه ولنفسه ما يريد[3].

أخذ رسول الله ﷺ بترتيب الامور في المدينة بعد بيعة العقبة الأولى لإحداث التغيير؛ إذ إن رسول الله ﷺ أرسل معهم مصعب بن عمير[4]، **" فلما انصرف عنه القوم بعث رسول الله ﷺ معهم مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف، وأمره أن يقرئهم القران، ويعلمهم الإسلام، ويفقههم في الدين، فكان يسمى المقرئ"**[5]، وكان أول سفير في الإسلام[6] .

يلاحظ على تحركات مصعب بن عمير انه بدأ حال وصوله إلى المدينة، بعلية القوم وساداتهم يدعوهم إلى الإسلام، أن أسعد بن زرارة، توجه ومعه مصعب بن عميرﷺ يريد به دار بني عبد الأشهل وبني ظفر، **" فجلسا في الحائط واجتمع إليهما رجال ممن أسلم، وسعد بن معاذ واسيد بن حضير، يومئذ سيدا قومهما من بني عبد الاشهل وكلاهما مشرك على دين قومه"**[7] .

كانت بيعة العقبة الثانية تحمل دلالات أكثر نضجا من البيعة الأولى؛ إذ إنها مكملة لها على وفق التخطيط الذي أراد رسول الله ﷺ، مثلما كانت بيعة العقبة الأولى، مكملة لبيعة الستة الذين بايعوا من قبل، ولما كان العام المقبل بعد العقبة الأولى حيث واعد الأنصار أن يلقوا رسول الله ﷺ بمكة، خرج سبعون رجلا ممن اسلم من الأنصار، في حجاج قومهم من المشركين[8]، وعند مكة واعدوا رسول الله ﷺ،العقبة من اواسط أيام التشريق، **" حين أراد من كرامته، والنصر لنبيه، وإعزاز الإسلام واهله، وإذلال الشرك"**[9] .

حتى إذا كان موعد العقبة ومضى ثلث الليل الاخير، كما قال كعب بن مالك : **" خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله ﷺ نتسلل تسلل القطى مستخفين، حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة"**[10]، فبايعوا رسول الله ﷺ بيعة الحرب[11].

إن تلطفهم في الخروج من رحالهم، يتسللون وهم مستخفين، ولم ينبهوا نائمًا، ولم ينتظروا غائبا، كما أمرهم رسول الله ﷺ، وميعادهم في الثلث الاخير من الليل، وحضور الرسول ﷺ إلى الميعاد وليس معه إلّا عمه العباس بن عبد المطلب[12]، يبين مدى السرية التي اتبعها رسول الله ﷺ وهو يعد لهذا الامر؛ إذ إن هذا اللقاء كان محفوفا بالمخاطر.

لقد كان العباس بن عبد المطلب أول المتحدثين، وهو ما زال في حينها على دين قومه، ولكنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويتوثق منه، لخطورة ما قد تؤول إليه الأمور، فأخبرهم أن محمد ﷺ في منعة من قومه، ولكنه أبى إلّا أن يلحق بكم، وبين لهم خطورة الموقف، وإنهم مازالوا في بداية أمرهم، واخبرهم بأنهم إذا لم يستطيعوا حمايته، فالأولى أن يدعوه، فإنه في عز ومنعة من قومه وبلده، لم يزد ذلك الخطاب الأنصار إلّا ثباتًا عل موقفهم، فقالوا : **" تكلم يا رسول اللهﷺ وخذ لنفسك ولربك ما احببت"**[13]

---

(1) ابن هشام, السيرة النبوية, 55/2؛ ابن كثير, البداية والنهاية, ج4, ص 371.
(2) ابن هشام, السيرة النبوية, 79/2؛ ابن حبان, محمد بن حبان بن احمد بن معاذ التميمي(ت 354هـ), السيرة النبوية واخبار
واخبار الخلفاء, تحقيق: سعد كريم الفقي, دار ابن خلدون, (الاسكندرية- د. ت), ص 56
(3) ابن حبان, السيرة النبوية واخبار الخلفاء, ص57؛ الملاح, الوسيط في السيرة النبوية, ص 73.
4() مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف من بني عبد الدار, من السابقين في الإسلام, استشهد في معركة احد في السنة الثالثة للهجرة, وكان يحمل اللواء يوم احد. ابن سعد, الطبقات, 107/3-112.
(5) ابن هشام, السيرة النبوية, ج2, ص82.
(6) المباركفوري, صفي الرحمن الرحيق المختوم, دار الهلال, (بيروت- د.ت),, ص130؛ الصلابي, محمد بن علي, السيرة النبوية, دار ابن كثير, (دمشق-2009م), ج1, ص 335.

(7) ابن سعد, الطبقات, 171/1؛ الطبري, تاريخ , 1/ 560.
(8) ابن سعد, الطبقات, 188/1؛ ابن حبان, السيرة النبوية واخبار الخلفاء, ص 63.
(9) ابن هشام, السيرة النبوية, ج2, ص86.
(10) ابن هشام, السيرة النبوية, ج2, ص88-89.
11() ابن هشام, السيرة النبوية, ج2, ص88-89.
(12) ابن سعد, الطبقات, ج1, ص 188.
(13) ابن هشام, السيرة النبوية, 89/2.

كان ذلك الرد إشارة إلى حماسة الأنصار، والاستعداد الكامل لتقبل كل شروط الرسول ﷺ للهجرة إلى مدينتهم، عندما رأى رسول الله ﷺ حماسة الأنصار، تكلم، وقرأ عليهم ما تيسر من القران الكريم، ودعاهم إلى الله، ورغبهم في الإسلام، ثم قال: **" أبايعكم على أن تمنعوني إذا قدمت اليكم مما تمنعون منه انفسكم وازواجكم وابنائكم ولكم الجنة"**[1]، فبادر البراء بن معرور فضرب على يد رسول الله ﷺ مبايعًا، ثم قال : والذي بعثك بالحق لمنعنك مما نمنع منه ازرنا، بايعنا يا رسول الله فنحن أبناء حرب، وأهل الحلقة، ورثناها كابرا عن كابر[2]، ثم تابع القوم كلهم مبايعين، وبعدها أمرهم رسول الله ﷺ أن يخرجوا إليه اثنى عشر نقيبا، ليكونوا على قومهم، فلما تخيروا النقباء، قال لهم رسول الله ﷺ **"انتم كفلاء على قومكم ككفالة الحواريين لعيسى ابن مريم، وانا كفيل على قومي"**[3]، وبعدها أمرهم رسول الله ﷺ ان يمضوا إلى رحالهم حتى لا يشعر بهم أحد[4]

رابعًا. تحديد مكان التحول واقامة الدولة :

لما مضى اصحاب العقبة وعاد رسول الله ﷺ بعد أن تمت البيعة، وبذلك **"طابت نفس رسول الله ﷺ وقد جعل الله له منعة وقوما اهل حرب وعدة ونجدة، وجعل البلاء يشتد على المسلمين من المشركين"**[5] .

لقد ثارت ثائرة قريش وضيقوا على اصحاب رسول الله ﷺ، ونالوا منهم، فشكوا ذلك لرسول الله ﷺ، واستأذنوه أن يهاجروا[6]، حينها كان رسول الله ﷺ يعلم أين يوجه اصحابه، فقال لهم **" قد أريت دار هجرتكم سبخة بين ظهراني حرة، فإما أن يكون هجر[7]، أو يكون يثرب"**[8]، ثم ما لبث أن أخبرهم انها يثرب فمن أراد الخروج فليخرج إليها[9].

وبالرغم من كل المصاعب التي كانت تحيط بالهجرة، هاجر المسلمون إلى المدينة، هجرة محفوفة بالمخاطر، وقد جعل الله لهم دارًا يأمنون بها، ولم يبقى في مكة إلّا من احتجزته قريش، وكان عدد من بقي غير قليل، فتتابعوا الخروج وكانت كل جماعة تتواعد، فخرجوا إرسالًا، وأقام رسول الله ﷺ بمكة بعد خروج أصحابه، حيث كان ينتظر أن يأذن الله له بالخروج واللحاق بهم[10]

لما رات قريش أن رسول الله ﷺ قد اصبح له أنصار خارج مكة، وانه بعث اصحابه من المهاجرين إليهم، عرفوا أنهم قد أصابوا منعة، ونزلوا بدار أمان، أدركوا أن الرسول ﷺ لا بدَّ أن يلحق بأصحابه، وأنه أجمع على حربهم، فاجتمعوا بدار الندوة، يتشاورون فيما يصنعون في أمر رسول الله ﷺ [11] .

عندما أيقنت قريش خسارتها وكيف اصبح المسلمون في المدينة في عزة واباء ومنعة، وان الرسول مهاجرا لامحالة، اجتمعوا في دار الندوة، يأتمرون على الرسول لقيتلوه أو يثبتوه، وكثرت آرائهم، " حول ما هم فاعلين برسول الله ﷺ **"فمنهم من قال قيدوه بالحديد، وقال آخر ننفيه من بلادنا، واشتد الجدل، فقال أبو جهل بن هشام بقتله، واخبرهم بخطته، فاستقر رايهم على ما قال أبو جهل، " فتفرق القوم على ذلك وهم مجتمعون له"**[12] .

عَلِم الرسول ﷺ بهذه الخطة وبما أجمعت عليه قريش؛ إذ إن الله سبحانه وتعالى أخبره خبرهم، قال تعال: **(وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ)** [13].

سارع الرسول ﷺ إلى استكمال خطة الهجرة إلى المدينة، وأحاط تحركاته بسرية تامة، من أجل ردِّ كيد المشركين ومكرهم، فعندما توجه رسول الله ﷺ إلى أبي بكر ﷺ، ليخبره بخبر الهجرة، ذهب إليه في وقت لم يكن يأتيه فيه، حيث أتاه بالهاجرة[14]، قالت عائشة أم المؤمنين: **"لما دخل رسول الله ﷺ،تاخر له أبي بكر ﷺ عن سريره فجلس رسول الله ﷺ فقال: "اخرج عني من عندك. قال : يا رسول الله،**

(1)ابن هشام, السيرة النبوية, 89/2؛ ابن كثير, اسماعيل ابن عمر الدمشقي(ت774هـ). البداية والنهاية, تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي, دار هجر للطباعة (د.ت,1997م)ج4, ص 398.

(2) ابن هشام, السيرة النبوية, 2/ 89 .

(3) ابن هشام, السيرة النبوية, 92/2.

(4)ابن هشام, السيرة النبوية, 92/2. ؛ الملاح, الوسيط في السيرة النبوية, ص 179.

(5) ابن سعد, الطبقات, 1/ 192.

(6) ابن سعد الطبقات, ج1, ص 192.

(7) هجر: قرية قرب المدينة، بينها وبين اليمامة عشرة أيام، وبينها وبين البصرة خمسة عشر يوما على الإبل. ينظر: الحموي , شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي(ت: 626هـ),ط2, دار صادر,(بيروت-1995م, 5/ 393.

(8) الطبراني, سليمان بن احمد بن أيوب بن مطير(ت 360هـ), المعجم الكبير, تحقيق: حمدي بن عبد الحميد, ط2, مكتبة ابن تيميه للطباعة والنشر,(القاهرة- د.ت), 8/ 31, رقم الحديث(7296).

(9) ابن سعد, الطبقات, ج1, ص 192 .

(10) ابن هشام, السيرة النبوية, 2/ 109 .؛ ابن الجوزي, عبد الرحمن بن علي بن محمد(ت597هـ), المنتظم في تاريخ الملوك والامم, تحقيق: محمد عبد القادر عطا و مصطفى عبد القادر عطا, دار الكتب العلمية, (بيروت- 1992م), 43/3؛ الملاح, الوسيط في السيرة النبوية, ص 184.

(11) ابن هشام, السيرة النبوية, 2/ 121-122.

(12) ابن هشام, السيرة النبوية, 2/ 123-124.

(13) سورة الانفال (الاية 30).

(14) ابن هشام, السيرة النبوية, ج2, ص 126.

انما هما ابنتاي، فما الأمر يا رسول الله، قال: إن الله قد أذن لي بالخروج والهجرة، قال أبو بكر: الصحبة يا رسول الله، فأجابه رسول الله ﷺ إلى ذلك"[1].

أما علي بن أبي طالب ﷺ فكان دوره أن يمكث في مكة، حتى يؤدي عن رسول الله ﷺ الامانات والودائع التي كانت عنده لأهل مكة، وكلفة أن يبيت في فراشه، إمعانًا بالسرية، ليوهم المشركين أن رسول الله ﷺ ما زال في داره ليلة الهجرة، حيث يقوم رسول الله ﷺ باصطحاب أبى بكرﷺ في طريق هجرته[2].

المبحث الثاني: انتقال القيادة وبناء المجتمع الجديد

أولًا. بداية التغيير

بدأت رحلة الهجرة من دار أبي بكر الصديقﷺ عندما أتاه رسول الله ﷺ واخبره بخبر الهجرة، وكان أبو بكر قد اشترى راحلتين للسفر احتبسهما عنده ليعلفهما إعدادًا ليوم الهجرة، واستأجرا عبدالله بن أُريقط، رجل من بني الديل، ليدلهما على طريق غير الطريق المألوف، ودفعا إليه الراحلتين يرعاهما لميعادهما[3].

أخذ الرسول ﷺ يعد خطة محكمة لمغادرتهما مكة، والوقوف على أدق التفاصيل ومعه صاحبه أبو بكر الصديقﷺ، بما فيها تامين وصول الطعام، حيث أقامتهما الأولى، من دون أن يسمح ذلك لقريش اكتشاف مكانهما، عندما يشتد عليهما الطلب[4]، قالت عائشة أم المؤمنين : **" فجهزناهما احث الجهاز، ووضعنا لهما سفرة في جراب، فقطعت أسماء بنت أبى بكر قطعة من نطاقها فربطت به على فم الجراب، فبذلك سميت ذات النطاقين"**[5].

بقي الرسول ﷺ في منزل أبي بكر إلى الليل، حيث اتفقا على الخروج[6]، ودار أبي بكرﷺ واقعة في خط بني جمح أسفل مكة، أي جنوبها[7]، لما أجمع رسول اللهﷺ وصاحبه على الخروج، خرجا من **"خوخة "*** لابي بكرﷺ في ظهر بيته، ثم قصدا غارًا في جبل ثور جنوب مكة فدخلاه، فأقام رسول الله ﷺ ومعه أبو بكر الصديق، ثلاثة أيام في الغار، وكان دخولهما الغار ليلا، فبادر أبو بكرﷺ فدخل قبل رسول اللهﷺ " فلمس الغار، لينظر أفيه سبع أو حية، يقي رسول الله بنفسه"[8]، وقد كان خوفه على رسول اللهﷺ لا يوصف، عندما احاط المشركون بالغار قال يا رسول الله لو نظر احدهم موطأ قدميه لأبصرنا، فقال الرسولﷺ:**" ما ظنك باثنين الله ثالثهما"**[9]، حمل أبو بكر الصديق معه كل ماله، وعمل على تدبير أمر الخروج تدبيرًا محكمًا، ما ترك شيئًا إلّا واعد له، أمر ابنه عبدالله بن أبي بكر أن يأتيهما بخبر القوم في المساء، وامر عامر بن فهيره، وهو مولى لابي بكر، أن يرعى غنمه نهارا، ثم يريحها عليهما إذا أمسى في الغار، فيحتلبان ويذبحان، ثم أمره بعد ذلك أن يُتبع الغنم أثر عبدالله بن أبي بكر إذا عاد إلى مكة، حيث يأتيهما بخبر القوم، فيعفي بذلك أثره، وأسماء بنت أبي بكرﷺ كانت تأتيهما بالطعام إذا أمست[10]، لقد نذر أبو بكر الصديق ﷺ نفسه وأهله وماله، في سبيل دعوة الحق[11].

حتى إذا مضت الايام الثلاثة، وهدأ عنهما الطلب، أتاهما عبدالله بن أريقط، الذي استأجراه، ببعيريهما وآخر له، وأتتهما أسماء بنت أبي بكر بطعامهما، حينها قدم أبو بكرﷺ أفضل الراحلتين إلى رسول الله ﷺ، فركبا وانطلقا[12].

بدأت المرحلة الثانية من الخطة بمغادرتهم الغار، أخذ أبو بكر الصديق ﷺ معه عامر بن فهيره، وهو مولى أبي بكر الصديق، وكان رديفه على راحلته، ليخدمهما في الطريق، فساروا ليلتهم، حتى ادركهم الظهر وهم يسيرون، فراوا صخرة طويلة، فسوى ابو بكر هناك مكانا ليستظل فيه رسول الله ﷺ ويقيل فيه، فنام رسول الله وابي بكر يحرسه حتى رحلوا بعد زوال الشمس[13]،عندها أيقنت قريش أن رسول الله ﷺ قد خرج من مكة قاصدًا المدينة، جعلت لمن يرده إليهم، مئة ناقة، وهي جائزة مغرية[14].

---

(1) ابن كثير, البداية والنهاية, ج4, ص 444-445.
(2) الملاح, الوسيط في السيرة النبوية, ص 186.
(3) ابن هشام, السيرة النبوية, ج2, ص126.
(4) ابن سعد, الطبقات, ج1, ص 194.
(5) الاصبهاني, دلائل النبوة, ص325؛ البوطي, فقه السيرة, ص 194.
(6) ابن سعد, الطبقات, ج1, ص 195.
(7)الأنصاري, عبد القدوس, طريق الهجرة النبوية, مطابع الروضة, (جدة-1987م) ص31.
* الخوخة: كوة في البيت تؤدي اليه الضوء, وهي باب صغير كالنافذة الكبيرة تكون بين بيتين .
ينظر: ابن منظور, لسان العرب, م2, 1284/14
(8) ابن هشام, السيرة النبوية, ج2, ص127.
(9) الصلابي, السيرة النبوية, ج1, ص375.
(10)الأنصاري, طريق الهجرة النبوية, ص31.
(11) الهاشمي, عبد المنعم, عصر الصحابة, ط4, دار ابن كثير للطباعة والنشر, (دمشق- 2003م), ص22.
(12) ابن هشام, السيرة النبوية, ج2, ص128.
(13) ابن الاثير, علي بن محمد الشيباني (630هـ), الكامل في التاريخ, تحقيق: ابي الفداء عبد الله القاضي, دار الكتب العلمية, (بيروت -1987م), 2/5-6.
(14)الأنصاري, طريق الهجرة النبوية, ص31-32.

سلك بهم دليلهم عبدالله بن أريقط طريقا غير طريق المدينة المألوف؛ إذ إنه توجه بهم إلى الجنوب الشرقي من مكة، وكان عبدالله بن أريقط **"خريتا "***، يتنقل بهم في سيره من طريق إلى طريق، وأحيانًا يقطع الطريق الممتد من عرضه، وما ترك سبيلًا يرى أنه أولى لإنجاح مهمته الخطيرة، إلّا سلكه طريق الهجرة[1]

كان أمر رسول الله ﷺ وصاحبه أبي بكر الصديق ﷺ، ومن معهما، قد خفي على جماعة المسلمين الذين بقوا في مكة، بعد مغادرتهما الغار، تقول اسماء بنت أبي بكر: **" ثم انصرفوا فمكثنا ثلاث ليال وما ندري أين وجه رسول الله"**[2]. وهذا بلا شك يدل على عظمة التخطيط لتلك الهجرة والسرية التامة التي احيطت بها تحركات الرسولﷺ ومن معه.

فعلموا فيما بعد أن رسول الله ﷺ توجه إلى المدينة، وانه مر بخيمتي أم معبد هو وصاحبه أبو بكر ومن معهما، في قديد وهو موضع قرب مكة، يبعد كثيرا عن الطريق المعبد، حيث مساكن خزاعة[3]، وقصة أم معبد، يقول عنها ابن كثير: **" قصتها مشهورة مروية من طريق يشد بعضها بعض "**[4]،

نزل رسول الله ﷺ ومن معه خيمتي أم معبد، فطلبوا طعاما، فلم يجدوا شيئًا، وأخبرتهم أن ليس لها إلّا شاة حائل، فتناول رسول اللهﷺ الشاة ومسح ضرعها بيده فحلب، واعطى أم معبد فشربت، وشرب هو واعطى من معه فشربوا، ثم ارتحلوا، وجاءت قريش في طلبهم، وسألوا أم معبد عن رسول الله ﷺ فوصفوه لها، فقالت : ما ادري ما تقولون، ولكن قد ضافني حالب الحائل، قالت قريش **:" فذاك الذي نريد "**[5].

وعندما أيقنت قريش أن محاولاتها باءت بالفشل، وأن رسول الله ﷺ خرج من مكة مهاجرا، أعلنت كما أسلفنا، في نوادي مكة انه من يأتي بالنبي محمدﷺ حيًّا أو ميتًّا، فله مكافئة مجزية، حددتها قريش بمئة ناقة، وشاع هذا الخبر في قبائل العرب في ضواحي مكة، وتلقف الخبر سراقه بن مالك، لنيل المكسب، وكان يرجو أن يرده إلى قريش، فلحقهما، فلما دنى منهم سراقه، عثرت به فرسه وخر عنها، فركب وتابع سيره حتى تقرب من رسول الله ﷺ وسمع قراءته، عندها غاصت يدا فرسه في الأرض، حتى بلغت ركبتيها، فخرعنها، حينها ادرك سراقه أن رسول الله ﷺ منع منه، وانه ظاهر[6]، فاخذ يطلب من رسول الله ﷺ أن يدعو له الله أن ينجيه، وأنه سوف يرد من وراءه من الطلب عنهم، وعرض على رسول الله ﷺ أن يأخذ من إبله وغنمه بعد أن أخبره بمكانها وهي في طريقه، ما يشاء، فقال رسول الله ﷺ : "لا حاجة لي فيها"، فدعا له رسول الله ﷺ فانطلق من مكانه ورجع إلى اصحابه[7]، وكان رسول الله ﷺ قال لسراقة :" أخف عنا "، فساله سراقة أن يكتب له كتاب أمن؛ فأمر عامر بن فهيره فكتب له في رقعة من أدم، وإن رسول الله ﷺ قال له " كيف بك إذا لبست سواري كسرى " فعاد سراقة ولم يخبر أحدًا، ومضى رسول الله ﷺ لوجهته[8]، ولما قفل سراقة راجعا، أخذ لا يرى احدا من القوم إلّا رده وقال : "كفيتكم هذا الوجه "[9] .

وعندما وصلا الغار ليلًا طلب أبو بكر من رسول الله ﷺ أن يدخل قبله، فدخل أبو بكرﷺ فجعل يلتمس الغار بيديه وكلَّما وجد جحرًا شق من ثوبه وسد ذلك الجحر، حتى أتى على ثوبه كله، فبقي جحر، فوضع عقبه عليه، وبعد ذلك أدخل رسول الله ﷺ، فلما أصبح فاخبره بما صنع، وعندها رفع رسول الله ﷺ يديه ودعا لأبي بكرﷺ[10] .

وعلى الرغم من معاناة الطريق والطلب الحثيث لقريش، ما ترك رسول الله ﷺ أمر الدعوة منذ أن أمر أن يجهر بها، يدعو إلى الله وهو في اصعب الظروف، لما انتهى رسول الله ﷺ في طريق هجرته إلى الغميم، أتاه بريده بن الحصيب الاسلمي[11]، فاسلم هو ومن معه،

---

* الخريت: الذي يهتدي لأخرت المفاوز, وهي طرقها الخفية ومضايقها, ينظر: ابن منظور, لسان العرب, 1124/13

(1) الأنصاري, طريق الهجرة النبوية, ص34.
(2) ابن هشام, السيرة النبوية, 129/2.
(3) الصلابي, السيرة النبوية, 477/1.
(4) البداية والنهاية, 472/4.
(5) ابن كثير, البداية والنهاية, ج4, ص473
(6) ابن هشام, السيرة النبوية, ج2, ص131 .
(7) ابن كثير, البداية والنهاية, ج4, ص466-477.
(8) الصلابي, السيرة النبوية, ج1, ص380-381.
(9) ابن كثير, البداية والنهاية, ج4, ص462 .
(10) ابن الجوزي, المنتظم في تاريخ الملوك والامم, 53/3 .
(11) الصحابي بريدة بن الحصيب بن عبدالله بن الحارث الاسلمي يكنى بابي عبدالله, اسلم مع رسول اللهﷺ وبقي في قومه, هاجر الى المدينة بعد غزوة بدر وبقي فيها مع رسول اللهﷺ وشهد مغازيه كلها ماعدا بدر, ثم انتقل الى البصرة, وخرج غازيا الى خراسان, وتوفي في مرو في خلافة يزيد بن معاوية. البغوي, ابو القاسم عبدالله بن محمد(ت317هـ), معجم الصحابة, تحقيق: محمد الامين, دار البيان,(الكويت-2000م),1/336-337.

وكانوا ما يقارب السبعين بيتا، وقد تعلم شيئا من القران من رسول الله ﷺ ثم رجع بريده إلى قومه[1]، وعندما أتى بريده ومعه السبعين راكبًا من بني سهم، فتلقى النبيﷺ[2] .

وعندما هبط الرسول ﷺ وصاحبه وادي العرج في طريق هجرتهم، أبطأ عليهم بعض ظهرهم، فحمل اوس بن عبدالله بن حجر وهو من أسلم، رسول الله ﷺ على جمل إلى المدينة، وارسل معه غلاما يقال له مسعود بن هنيدة، وقد أسلموا على يد رسول الله ﷺ، وعندما أراد رسول الله ﷺ اختصار الطريق إلى المدينة، استعان برجلان اسمهما المهانان، وقد أسلما وسماهما رسول الله، المكرمان وسلكا به طريق ركوبه، وهي ثنية بين مكة والمدينة عند العرج[3] .

ثانيًا. نجاح الخطة ووصول الرسول ﷺ :

كان خروج الرسول ﷺ في هجرته يوم الاثنين، ووصل المدينة يوم الاثنين؛ إذ إن المدة بين خروجه من مكة ودخوله المدينة خمسة عشر يومًا بما فيها اقامته بغار جبل ثور ثلاثة أيام، ويعود طول المدة، إلى انهم سلكوا الطريق الساحلي، وهو أبعد من الطريق المعبدة، واجتازوا في مرورهم خيمتي أم معبد الخزاعية[4].

إن المسلمين في المدينة لما سمعوا بخروج رسول الله ﷺ من المدينة، كانوا يخرجون كل يوم إلى الحرة ينتظرونه، لا يردهم إلّا حرُّ الظهيرة، وفي اليوم الذي وصل فيه رسول الله ﷺ المدينة، كان المسلمون قد رجعوا بعد طول انتظار وشدة من حر، إلى بيوتهم، فصعد رجل من اليهود على حصن من حصونهم، لأمر ينظر إليه، فرأى رسول الله ﷺ واصحابه، يزول بهم السراب تارة، ويراهم أخرى، فلم يتمالك نفسه، فصاح يا معشر العرب : **" إن هذا جدكم الذي تنتظرون "**[5]، فبادر المسلمون إلى سلاحهم مسرعين، مستقبلين الرسول ﷺ، حتى نزل بهم في بني عمرو من بني النجار[6].

أقام رسول الله ﷺ بقباء، في بني عمرو بن عوف، حيث مكث فيهم أربعة أيام، وأسس مسجد قباء؛ فكان أول مسجد بني في الإسلام، وخرج رسول الله ﷺ من بين اظهرهم في اليوم الخامس، فادركته الجمعة في بني سالم بن عوف، فصلاها رسول الله ﷺ هناك، فكانت هذه أول جمعة صلاها الرسول ﷺ في المدينة[7].

جاء رسول الله ﷺ وصاحبه، فأراحوا في ضواحي المدينة، ثم بعثا إلى الأنصار يعلمانهم، فاستقبلهما ما يقارب خمسمائة من الأنصار حتى وصلوهما، فأقبل رسول الله ﷺ وصاحبه، فخرج اهل المدينة وكلهم شوق لرؤية رسول الله ﷺ، فلم يرى منظرا شبيها به يومئذ، حتى أن انس بن مالك قال: **" فلقد رايته يوم أقبل علينا ويوم قبض، فلم أرى يومين مشبها بهما"**[8]، ويبدو أنه أراد الفرح والسرور يوم قدومه المدينة، والحزن والغم يوم وفاة ﷺ .

التف الأنصار من حول رسول الله ﷺ، وكلهم يدعوه إلى النزول إلى داره ويمسك زمام راحلته، يرجوه النزول، فقال لهم رسول الله ﷺ : **" دعوها فأنها مامورة"**[9]، فمضت ناقته حتى اناخت في موضع لغلامين يتيمين من بني النجار، أمام دار أبي أيوب الأنصاري[10] .

ثالثًا. اعادة تنظيم مجتمع المدينة وبناء الدولة:

كان الهدف الأسمى هو بناء مجتمع جديد في مكان آمن يشترك الجميع في بنائه ويَسهَمون في إعلاء شأنه، وكان المسلمون متحمسين لذلك فعندما أتاهم أمر الهجرة نفروا خفافًا وتركوا كل ما يملكون؛ إلّا ما خَف حمله، كان عامل الوقت ليس بجانبهم فكل تأخير محسوب عليهم؛ لذلك فروا إلى الله ﷻ بأنفسهم، ففداؤهم للرسولﷺ وللدين بأموالهم وانفسهم ليست مجرد شعارات؛ كان تطبيقًا عمليًّا حان وقته ساعة الهجرة، اثبتوا فيه ولاءَهم للإسلام لا للديار، فلا مجال للشعارات في المجتمع الجديد، سارت خطة الهجرة على أتم وجه كما أسلفنا، وشرع الرسولﷺ بتأسيس أعظم دولة عرفها التاريخ، ولم تكن تلك مغامرة؛ بل كانت خطوة محسوبة تتبعها أخرى يخطوها قائد واثق الخطى، ووضع لها الرسولﷺ دستورًا ينظم كل صغيرة وكبيرة فيها[11].

(1) ابن عبد البر, يوسف بن عبدالله بن محمد(463هـ), الاستيعاب في معرفة الاصحاب, تحقيق: علي محمد البجاوي, دار الجيل, (بيروت- 1412هـ-1992م), 185/1 .
(2) الانصاري, طريق الهجرة النبوية, ص54 .
(3) الانصاري, طريق الهجرة النبوية, ص54-55 .
(4) ابن كثير, البداية والنهاية, ج4, ص472 .
5() ابن الجوزي, المنتظم, 62/3.
(6) ابن الجوزي, المنتظم, 62/3-63.؛ الصلابي, السيرة النبوية, ج1 ص382 .
(7) ابن هشام, السيرة النبوية, ج2, ص136 .
8() ابن كثير, البداية والنهاية, ج4, ص487.
9() البيهقي, دلائل النبوة, 501/2.
(10)البيهقي, دلائل النبوة, 501/2.؛ البوطي, فقه السيرة, ص198 .
11() ابن هشام, السيرة النبوية, 501/1؛ ابن كثير, البداية والنهاية, 224/3؛ حميد الله, مجموعة الوثائق السياسية, ص59.

بدأ الرسولﷺ بالتنمية والإعمار حال وصوله المدينة؛ إذ شرع ببناء المسجد؛ ليكون مكانًا للعبادة ومقرًا للقيادة، وباشر بالعمل بنفسه يشاركه اصحابه[1]، ولا شك أن مشاركة الرسولﷺ ببناء المسجد تعد رسالة واضحة إلى تبني العمل الجماعي ومشاركة الجميع في بناء الدولة وإقامة أركانها.

إن مجتمع المدينة مختلط العادات والتقاليد والعبادات ومسألة الاندماج في مثل هكذا مجتمع من الصعوبة بمكان؛ إذا ما علمنا أن من ضمن المهاجرين من كانوا سادات في قومهم ومن علية القوم وأثريائهم، فعمل الرسولﷺ على معالجة تلك المشاكل في وقت مبكر اذ بدأ بتنمية الافراد في المجتمع، وربما كان ذلك من أولويات الرسولﷺ، وكانت البداية هي دمج المجتمع ومعالجة الفوارق وترميم النفوس، فكانت بالمؤاخاة بين المهاجرين والانصار[2]، والتي عملت على كسر الحواجز وبناء العلاقات الاجتماعية، والتي من شأنها أن تزيل الفوارق بين أبناء المجتمع، وتعالج مسالة الفقر وأزمة السكن، فأصبحت الاخوة أساس العلاقات بين المهاجرين والأنصار، وأصبحت التقوى أساس التفاضل وحلت محل المفاخرة المنافرة[3]، وبذلك استطاع الرسولﷺ أن يبدد هم الغربة ووحشة الفراق، وأصبح المجتمع الإسلامي الجديد واحدًا في تواده وتراحمه، وكان يُشَبّه المجتمع المؤمن الذي وصل إليه بإدارته الحكيمة بالجسد الواحد، قال ﷺ: **"مَثَلُ المُؤمِنينَ في تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعاطُفِهم، مَثَلُ الجَسَد؛ إذا اشتَكى منهُ عضو، تَدَاعَى لهُ سَائر الجَسد بالسَهَرِ وَالْحُمَّى "**[4]، ولا شك أن الرسولﷺ في هذا الحديث يريد أن يصور لهم أن المجتمع يجب أن يكون قويًّا موحدًا متماسكًا، وأن يشعر أحدهم بالأخر.

ومن سمات القيادة لتكون قريبة من المجتمع وضمنه، جعل الرسولﷺ نفسه واحدًا لا يميز نفسه عنهم سوى ما ميزه الله بحمل الرسالة، يقول المقداد بن الاسودﷺ[5]:**"لَما نَزلنا المَدينَة عَشَّرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عَشرة عَشرة، يعني: في كُلَّ بَيت، قال: فكُنت في العَشرة التي كَان النبي صلى الله عليه وسلم فيهم، قَال: ولم يَكُن لنا إلّا شَاة نَتَجَزأ لَبَنها، قال: فكُنا إذا أبطَأ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم شَرِبنا، وبَقينا للنبي صلى الله عليه وسلم نصيبه..."**[6]. وهذا بلا شك يُعد من تواضع القيادة واندماجها في المجتمع، لتشعر بمعاناة الناس ومباشرة مصالحهم وتنميتهم تنمية بشرية ليعدهم ويصنع منهم رجالا وقادة.

ثم سعت القيادة إلى إيجاد مجتمع متكامل، وأي مجتمع لا يمكن أن يصل إلى هذه المرحلة؛ إلّا بوجود دستور متكامل يقوم على تنظيم المجتمع، ولا يمكن أن يكون ذلك الدستور من وضع الانسان، فهو بذاته لا يستطيع إيجاد دستور يصل بالمجتمع إلى تلك المرتبة؛ واستطاع الرسولﷺ من الوصول بالمجتمع الإسلامي إلى المثالية بوجود تشريع نزل به وحي السماء وهو القرآن الكريم، ودستور صاغ الرسولﷺ بنوده بإشراف الوحي[7]، وبذلك استطاع الرسولﷺ من تنمية المجتمع واقامة دولة تقوم على العدل والمساواة، يشعر الجميع بالانتماء إلى تلك الدولة بعد أن وجدوا أنفسهم جزءًا منها، ومسؤولية أمنها والحفاظ عليها مسؤولية الجميع، وبتلك الخطى الثابتة وبذلك التخطيط المحكم استطاع الرسولﷺ من احداث التغيير وإعادة تنمية مجتمع المدينة واقامة الدولة.

الخاتمة:

تبين بعد العرض والتحليل لمظاهر ومقومات التنمية والتخطيط في المنهج النبوي، إنّ الرسول ﷺ قد وضع اللبنة الأولى للتنمية الشاملة المستدامة بمعناها الإنساني والاجتماعي والاقتصادي والحضاري، وذلك برؤية متكاملة تهدف إلى بناء الإنسان والمجتمع والدولة. وكان ذلك التخطيط النبوي أداةً فاعلة ومهمة في إدارة التغيير فقد حول المجتمع من مجتمع يسوده التفكك والتناحر والقبلية إلى مجتمع جديد متماسك يشد بعضه بعض، تحكمه القيم والعدالة والمساواة والمسؤولية المشتركة.

وتُظهر الدراسة أن التخطيط التنمية في الفكر النبوي لم تكن شعارات، بل ارتكزت على بناء الإنسان أخلاقيًّا وفكريًّا وروحيًّا، متخذًا من الانسان محور الإصلاح وأداة التغيير. كما اتسم التخطيط النبوي بالواقعية والوضوح والمرونة، فهو يوازن بين الأهداف البعيدة الامد

---

[1]() ابن هشام, السيرة النبوية, 496/1.

[2]() ابن هشام, السيرة النبوية, 505/1؛ السهيلي, الروض الانف, 244/4؛ ابن كثير, البداية والنهاية, 226/3-227.

[3]() الاحتكام الى من يقضي في خصومة أو مفاخرة. الفراهيدي, الخليل بن احمد بن عمرو(ت170م), العين, تحقيق: مهدي المخزومي و ابراهيم السامرائي, دار الهلال(د.م-د.ت), 8 /268.

[4]() مسلم, ابو الحسين مسلم بن الحجاج(ت261هـ),صحيح مسلم, تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي, مطبعة عيسى البابي الحلبي, (القاهرة, 1955م), 1999/4, رقم الحديث: 2586.

[5]() المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة بن ثمامة بن مطرود بن عمرو بن قضاعة ويكنى أبا معبد وكان حالف الأسود بن عبد يغوث الزهري في الجاهلية فتبناه، فكان يقال له: المقداد بن الأسود, من السابقين الى الإسلام, هاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية, وهاجر الى المدينة وآخى رسول الله ﷺ بين المقداد وجبار بن صخر, وهو فارس بدر, وأول من عدا به فرسه في سبيل الله, وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ, توفي سنة ثلاث وثلاثين وصلى عليه الخليفة عثمانﷺ ودفن في البقيع. ابن سعد, الطبقات, 161/3-163.

[6]() احمد, بن حنبل(ت241هـ), مسند الامام احمد, تحقيق: شعيب الارنؤوط واخرون, مؤسسة الرسالة,(د.م-2001م), 240/39, رقم الحديث: 23818.

[7]() ابن هشام, السيرة النبوية, 501/1-504؛ السهيلي, ابو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله(ت 581هـ).الروض الانف في شرح السيرة النبوية, دار احياء التراث العربي, (بيروت, 1991م), 171/4؛ الكلاعي, سليمان بن موسى بن سالم الحميري(634هـ), الاكتفا بما تضمنه من مغازي الرسول ص والثلاثة الخلفا, تحقيق: محمد عطا, دار الكتب العلمية,(بيروت-1999م), 296/1 ؛ كرمى, احمد عجاج, الإدارة في عصر الرسول, دار السلام,(القاهرة-2006م) ص80؛ عبد اللطيف, عبد الشافي, السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي, دار السلام, (القاهرة-2000م) ص46 ؛ البوطي, فقه السيرة, 367.

والمصالح العاجلة التي يحتاجها المجتمع، وهو بذلك يستند إلى قاعدة إيمانية ومعرفية راسخة استطاع من خلالها تحقق التكامل بين الدين والدنيا.

وبتتبّع الخطوات النبوية في بناء المجتمع المدني، يمكن استنتاج ما يلي:

- أنَّ التنمية النبوية جاءت ذات طابع إنساني، تجعل من الإيمان بالله عز وجل والانتماء للمجتمع أساسًا في التغيير الإيجابي الذي حقق النتائج المطلوبة للتغيير.
- أنَّ التخطيط في السيرة النبوية أخذ طابعًا علميًا ومنهجيًا منظمًا اعتمد على جمع المعلومات وربطها بالواقع مع استشراف للمستقبل ليكون أكثر استدامة.
- قامت إدارة التغيير النبوي على المشاركة المجتمعية مع التركيز على الفرد؛ إذ إن الرسول ﷺ فعّل طاقات الأفراد في مجالات الحياة كافة مع التركيز على صناعة القادة.
- أرسى الرسول ﷺ أنموذجًا للتنمية والتخطيط يوازن بين المتطلبات الروحية والمادية، وبين الفرد والجماعة، والدنيا والحياة الآخرة.
- أنَّ استلهام الأنموذج النبوي في التنمية والتخطيط يمثل ضرورة معاصرة لإعادة بناء المجتمعات المسلمة على أسس من العدالة والاستدامة والوعي الحضاري.

وخلاصة القول، إنّ التجربة النبوية في التنمية والتخطيط تعدّ أنموذجًا رائدًا لإدارة التغيير، وبناء المجتمعات على مبادئ الوحي والعقل والعمل المشترك، وهي جديرة بالدراسة والاستلهام في مشاريع النهضة والإصلاح المعاصرة.

References

- **The Holy Qur'an**

1. **Ibn al-Athir، ʿAli ibn Muhammad al-Shaybani (d. 630 AH).**
   Al-Kamil fi al-Tarikh، ed. Abu al-Fidaʾ ʿAbd Allah al-Qadi، Dar al-Kutub al-ʿIlmiyyah، Beirut، 1987.
2. **Ibn Hibban، Muhammad ibn Hibban ibn Ahmad ibn Maʿadh al-Tamimi (d. 354 AH).**
   Al-Sirah al-Nabawiyyah wa Akhbar al-Khulafa'، ed. Saʿd Karim al-Faqi، Dar Ibn Khaldun، Alexandria، n.d.
3. **Al-Hamawi، Shihab al-Din Abu ʿAbd Allah Yaqut ibn ʿAbd Allah al-Rumi (d. 626 AH).**
   Muʿjam al-Buldan، 2nd ed.، Dar Sader، Beirut، 1990.
4. **Ibn al-Jawzi، ʿAbd al-Rahman ibn ʿAli ibn Muhammad (d. 597 AH).**
   Al-Muntazam fi Tarikh al-Muluk wa al-Umam، eds. Muhammad ʿAbd al-Qadir ʿAta and Mustafa ʿAbd al-Qadir ʿAta، Dar al-Kutub al-ʿIlmiyyah، Beirut، 1992.
5. **Ibn Saʿd، Muhammad ibn Saʿd ibn Maniʿ al-Zuhri (d. 230 AH).**
   Kitab al-Tabaqat al-Kabir، ed. ʿAli Muhammad ʿUmar، 1st ed.، Maktabat al-Khanji، Cairo، 2001.
6. **Al-Suhayli، Abu al-Qasim ʿAbd al-Rahman ibn ʿAbd Allah (d. 581 AH).**
   Al-Rawd al-Unuf fi Sharh al-Sirah al-Nabawiyyah، Dar Ihyaʾ al-Turath al-ʿArabi، Beirut، 1991.
7. **Al-Tabarani، Sulayman ibn Ahmad ibn Ayyub ibn Mutayr (d. 360 AH).**
   Al-Muʿjam al-Kabir، ed. Hamdi ʿAbd al-Hamid، 2nd ed.، Maktabat Ibn Taymiyyah، Cairo، n.d.
8. **Al-Tabari، Muhammad ibn Jarir (d. 310 AH).**
   Tarikh al-Tabari، Dar al-Kutub al-ʿIlmiyyah، Beirut، 1407 AH.
9. **Ibn ʿAbd al-Barr، Yusuf ibn ʿAbd Allah ibn Muhammad (d. 463 AH).**
   Al-Istiʿab fi Maʿrifat al-Ashab، ed. ʿAli Muhammad al-Bajawi، Dar al-Jil، Beirut، 1992.

10. **Ibn Kathir، Ismaʿil ibn ʿUmar al-Dimashqi (d. 774 AH).**
Al-Bidayah wa al-Nihayah، ed. ʿAbd Allah ibn ʿAbd al-Muhsin al-Turki، 1st ed.، Dar Hajr، 1997.
11. **Ibn Qayyim al-Jawziyyah، Muhammad ibn Abi Bakr ibn Ayyub ibn Saʿd Shams al-Din (d. 751 AH).**
Tariq al-Hijratayn wa Bab al-Saʿadatayn، 2nd ed.، Dar al-Salafiyyah، Cairo، 1394 AH.
12. **Muslim، Abu al-Husayn Muslim ibn al-Hajjaj (d. 261 AH).**
Sahih Muslim، ed. Muhammad Fuʾad ʿAbd al-Baqi، Matbaʿat ʿIsa al-Babi al-Halabi، Cairo، 1955.
13. **Ibn Manzur، Muhammad ibn Mukarram ibn ʿAli ibn Ahmad (d. 711 AH).**
Lisan al-ʿArab، Dar al-Maʿarif، Cairo، n.d.
14. **Ibn Hisham، ʿAbd al-Malik ibn Hisham al-Maʿafiri (d. 213 AH).**
Al-Sirah al-Nabawiyyah، ed. Muhammad ʿAbd al-Salam Tadmuri، 2nd ed.، Dar al-Kitab al-ʿArabi، Beirut، 1990.

References

15. **Al-Buti، Muhammad Saʿid Ramadan.**
Fiqh al-Sirah، Dar al-Fikr al-Muʿasir، Beirut، n.d.
16. **Hamidullah، Muhammad.**
Majmuʿat al-Wathaʾiq al-Siyasiyyah li al-ʿAhd al-Nabawi wa al-Khilafah al-Rashidah، 8th ed.، Dar al-Nafaʾis، Beirut، 2009.
17. **Al-Khudari، Muhammad.**
Muhadarat fi Tarikh al-Umam al-Islamiyyah، Dar al-Kitab al-ʿArabi، Beirut، 2006.
18. **Al-Sibaʿi، Mustafa.**
Al-Sirah al-Nabawiyyah: Durus wa ʿIbar، 3rd ed.، Al-Maktab al-Islami، n.p.، 1985.
19. **Al-Sallabi، ʿAli Muhammad.**
Al-Sirah al-Nabawiyyah: ʿArd Waqaʿi wa Tahlil Ahdath Durus wa ʿIbar، 1st ed.، Dar Ibn Kathir، Damascus، 2009.
20. **Al-ʿAli، Salih Ahmad.**
Muhadarat fi Tarikh al-ʿArab، Dar al-Kutub، Mosul، n.d.
21. **Al-Mubarakfuri، Safi al-Rahman.**
Al-Rahiq al-Makhtum، Dar al-Hilal، Beirut، n.d.
22. **Al-Mallah، Hashim Yahya.**
Al-Wasit fi al-Sirah al-Nabawiyyah wa al-Khilafah al-Rashidah، Dar Ibn al-Athir، Mosul، 2005.
23. **Al-Ansari، ʿAbd al-Quddus.**
Tariq al-Hijrah al-Nabawiyyah، Matabiʿ al-Rawdah، Jeddah، 1978.
24. **Al-Hashimi، ʿAbd al-Munʿim.**
ʿAsr al-Sahabah، 4th ed.، Dar Ibn Kathir، Damascus، 2003.